من لا يُرحم لا يُرحم

محمد علي السهماني

كثيرة هي المآسي المحدقة بالمواطن البسيط من كل اتجاه، والمؤشر القادم ينذر بحصول ما هو أسوأ في ظل تنامي العبث بأمن البلاد والعباد، هذه المآسي التي اكتوى بها قلب كل مواطن شريف يأمل حتى اللحظة التماس ومضة من رحمة في قلوب المناوئين والمتصارعين على السلطة، ينتظر المغلوبون على أمرهم نظرة الرحمة والشفقة على أحوالهم المتردية في مختلف جوانب الحياة، الأسواق فقدت نشاطها وأفقدت من لا ناقة لهم ولا جمل في صراع الأزمة القاتلة، كل جميل في حياتهم، وهم يرون البيوت تدمر والدماء تسفك والطرقات يتمترس فيها أعداء الإنسانية وأنصار التخريب .. إنها لحظات مرة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى في حياة هذا المواطن المسكين وهو يرى بنفسه وأمام عينه تصدع واقعه وتلاشي مستقبل أولاده على أيدي لهاث الحكم وقطاع الطريق الذين تجردوا من كل روابط الأخوة وانسلخوا من كل ذرة رحمة تميزهم عن سائر الوحوش البرية، ولكنهم لم يكونوا أهلا لحمل صفة الرحمة الإنسانية ليستبدلوها بقساوة الطواغيت، وجبروت الطغاة الغابرين الذين ذهبوا إلى مزبلة التاريخ، لقد تجاوز الأمر حده، وبلغ الشر منتهاه وظهر جليا دور المنافقين محركاً رئيسياً في تلطيخ الناس الأبرياء بلون الدم ومرارة الظلم وكان لزاما عندها يتحقق قول الله تعالى :﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، عند هذه الحقيقة الإلهية يرأهن الكثير على زوال هذه الفتنة على نظرة رحمة الخالق لعباده وسخطه على المتصارعين على الدنيا من أبناء جلدتهم الذين يحلمون بالوصول إلى السلطة عبر أنهار من الدم المعصوم .. فلا عجب عند حصول هذه النوايا الشيطانية أن نشاهد مزيداً من الضحايا أدخلهم الأكفان وواراها التراب من يصلون بصلاتنا ويقرأون القرآن كقراءتنا لكنه قراءتهم لا تجاوز حناجرهم ويمروقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، على حد الوصف النبوي لهؤلاء في مضامين السنة الشريفة، ولا شك أن من يعرف ويفهم تحذيرات السنة ويستوعب مدلولات القرآن الكريم في كشف سلوكيات هؤلاء، سيجد مطابقة مفاهيم النصوص الشرعية في وجوه وتعاملات من نراهم اليوم ماضين على وتيرة القتل والتكفير والخراب وهذا ما يعد إعجازاً واضحاً ونحن نقرأ قوله تعالى :﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ وفساد القتل والدمار الذي يرتكبه هؤلاء على الساحة هو تجسيد بسيط لما أورده الله في كتابه كاشفا نوايا من نعرف اليوم أسماءهم ونفهم شعاراتهم الرنانة التي تدس السم في الدسم من حيث لا يدري الناس ما وراء تلك الشعارات والتصريحات والهتافات التي تنادى بالثورة السلمية على حد قولهم، وإقامة الحكومة المدنية، في حين أن الجميع يعلم أن الثورة المزعومة تغلق الجامعات وتقتحم المنشآت وتغزوا المعسكرات وتقطع الطرقات وتخرب الكهرباء والمحطات، إضافة إلى ذلك ركاكة وهشاشة دعاواهم بالمطالبة بالحكومة المدنية التي يمثلها اليوم الميليشيات المسلحة ويؤسسها جنرالات وعسكر الفساد ولم يغب عنهم ضلالة ما يدعونه ولكنهم ماضون في مخطط التضليل والتزوير، فالحكومة المدنية والنظام المدني لا يؤسسه إلا المدنيون، فهل الميليشيات المسلحة والمرافقون المدججون بكافة أنواع السلاح من أدوات صناعة النظام المدني .. وهل تجار الحروب في صعدة أصبحوا اليوم النماذج المدنية والركائز الأساسية لإقامة المجتمع المدني في ظل سلاح وذخائر العصابات المسلحة.

من جديد أجد نفسي بين آيات الكتاب الكريم وهو يكشف أقنعة هؤلاء، ويفضح بالدليل والبرهان أباطيلهم وافتراءاتهم وصدق أصدق القائلين في قوله :﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾.

وأقول لهؤلاء إن كان ما زال في عقولكم ذرة من عقل وفي قلوبكم أمل أن نجد فيها ومضة من رحمة أو فطرة من إيمان أو حق تحملون شعاعا من نور في أفاقكم المتسلط عليها ظلام الشيطان بحبائله السوداء، نقول لكم نحن بحاجة إلى ثورة شعبية ضد أفكاركم الهدامة نحن بحاجة ماسة إلى ثورة تجمع ما فرقتموه وتؤلف ما زرعتموه من العنف والكراهية في ثوتركم المشؤمة التي أفسدت الشباب وهدمت ما صعب بناؤه على مر السنين نحن بحاجة إلى التغيير الحقيقي لا تغيير الوجوه والأشكال الذي تطالبون به نريد تغيير النفوس والسلوكيات وهذا ما عجزتم ومعكم مخططاتكم عن تحقيقه والدليل على هذا احتباس أفعالكم في تحوركم وانكشاف عوراتكم في عمق بيوتكم ومقراتكم وإذا لم تعودوا عن ما أقدمتم عليه من الغي والضلال فستكون لعنة من لعنات التاريخ ولن تسلموا من كشفه لفرقة قتلت الأبرياء وأعلن تأسيسها أصنام المشائخ وجنرالات الفساد ورويضة الناس إن التاريخ لن يغفر مخططاتكم لتأسيس نظام اعتمد أصحابه في تأسيسه على التوبة يوم السبت والصلاة يوم الأحد ووقف التعليم يوم الاثنين والإفتاء يوم الثلاثاء وتلقين الناس يوم الأربعاء وقتل للناس يوم الخميس ثم الإعلان عن إقامة النظام على الشأن المسيس يوم الجمعة على طريقة إقامة دولة في ستة أيام.

فارحموا الناس من عبثكم بالمصير المشترك ولا تنخدعوا بزخارف الدنيا وسياسات نوبل التي تكافئ من يتنازل عن الحقوق ويفرط في العرض والأرض بداعي السلام والتاريخ يتكفل بتعليمكم ما جهلتموه بقصد أو بدون قصد وإن كنتم تفهمون فرسالتنا لكم «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»

ولكم النظر واستجلاء الكتاب والسنة وفهم حقائق الحياة ولا تنسوا أن من لا يرحم لا يرحم ولا تغفلوا أبدا أن التاريخ كذلك لا يرحم.

صور الخروج على الحاكم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده إقراراً به وتوحيدا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيدا.

هذا مبحث مختصر بينت فيه صور الخروج على ولي الأمر وحكم كل صورة في ذلك وأقوال الأئمة رحمهم الله تعالى- في مسألة الخروج عامة تشمل الخروج بالسيف وتشمل غيره كالخروج عن طاعتهم، ومن قصرها على الخروج بالسيف لا دليل عليه. وإليك أقوال أهل العلم في ذلك:-

الشيخ/ سعد النزيلي

قال الإمامان أبو حاتم الرازي ت: ٢٧٧ هـ وأبو زرعة ت: ٢٨٠ هـ - رحمهما الله ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله - عز وجل - أمرنا، ولا ننزع يداً من طاعة، ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة)) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٧٧/١)

قال الإمام أحمد: «لا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس» قيل فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق» انظر شرح السنة للالكائي (١٨١/١).

قال الطحاوي-رحمه الله- ت: ٣٢١هـ ((ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة)). اللتن رقم(٧٧)

وقال البربهاري - رحمه الله ت :٣٣٩هـ((ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي، قد شقّ عصا المسلمين وخالف الآثار، وميتته ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه وإن جار وذلك لقول رسول الله -ﷺ- لأبي ذر الغفاري ((اصبر وإن كان عبداً حبشيا)) وقوله للانصار((اصبروا حتى تلقوني على الحوض)) وليس من السنة قتال السلطان، فإن فيه فساد الدنيا والدين)) شرح السنة له (رقم:٢٤-٢٥)

وقال الإمام النووي رحمه الله- ((وأما الخروج يعني على الأئمة ، وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين ، وإن كانوا فسقة ظالمين ، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته ، واجمع اهل السنة انه لا ينعزل السلطان بالفسق ، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه ليعض أصحابنا أنه ينعزل وحكى عن المعتزلة أيضا فغلط من قائله مخالف للإجماع ، قال العلماء وسبب عدم انعزاله ، وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء ، وفساد ذات البين فتكون المفسدة في عزلة أكثر منها في بقائه)). شرح صحيح مسلم « (١٢/ ٢٢٩)

وقال ((وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء ، وفساد ذات البين فتكون المفسدة في عزلة أكثر منها في بقائه)) شرح صحيح مسلم (١٢/ ٢٢٩)

قال شيخ الإسلام-رحمه الله تعالى- ((وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج، والقتال في الفتنة، كما كان عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة، للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ((وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة، وترك قتالهم)). انظر منهاج السنة النبوية - (٤/ ٥٢٩)

وقال - رحمه الله- ((فأهل البدع من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم يرون قتالهم والخروج عليهم إذا فعلوا ما هو ظلم أو ما ظنوه هم ظلمة ويرون ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)). المستدرك مجموع الفتاوى - (٣/ ١٦١)

ويقول أيضا-رحمه الله- ((ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج عن الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته مفهاء السنة النبوية (٣/٤٩١).

وقال أيضا : وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي من الصبر على جور الأئمة، وترك قتالهم، والخروج عليهم، هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمدا أو مخطئا لم يحصل بفعله صلاح بل فساد... منهاج السنة النبوية (٤ / ٥٢٧-٥٢١).

وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور وغشهم والخروج عليهم بوجه من الوجوه كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين قديما وحديثا ، ومن سيرة غيرهم ((مجموع الفتاوى (١٢/٣٥) قال ابن أبي العز ت: ٧٩٢ هـ شارحا كلام الإمام الطحاوي الذي تقدم ذكره ((وَأَمَّا لُزُومُ طَاعَتِهِمْ وَإِنْ جَارُوا ، فَلِأَنِّ يَتَرَتَّبُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ طَاعَتِهِمْ مِنَ الْمَفَاسِدِ أَضْعَافُ مَا يَحْصُلُ مِنْ جَوْرِهِمْ)).

وقال الإمام البربهاري:"ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه وإن جار"

وفي معنى المحتاج - (٤ / ١٢٣) ((وتحصل مخالفة الإمام بأحد أمرين إما (بخروج عليه) نفسه (و) إما بسبب (ترك الانقياد) له (أو) لا بهذين الأمرين بل بخروج عن طاعته بسبب (منع حق) مالي له تعالى أو لآدمي أو غيره كقصاص أو حد (توجه عليهم) لأن الصديق رضي الله تعالى عنه قاتل مانعي الزكاة لمنعهم الزكاة ولم يخرجوا على عليه وإنما منعوا الحق المتوجه عليهم).

وفي روضة الطالبين (١٠ / ٥٠) ((أما البغاة فتعتبر فيهم خصلتان إحداهما أن يكون لهم شوكة يمتنعون بسببه جواز الخروج على الإمام أو منع الحق المتوجه عليهم)).

وفي شرح كتاب غاية البيان شرح ابن رسلان (٢ / ٩٠) ((وبخبر

(٣) كتاب الآداب والأخلاق، وفي (ص:٤٣-٤٦) ((وذلك لما يترتب على الخروج عليهم-أي الحكام- من المفاسد والمضار، التي لاتحصد عقباها...))

وفي شرح زاد المستقنع للشنقيطي (٢٩٤ / ٤):

مظاهر الخروج عن جماعة المسلمين

يكون الخروج أول ما يكون بالرأي؛ ولذلك نجد نصوص الكتاب والسنة تأمر المسلم بعدم اتباع بالهوى، وعدم المبالغة في تخطئة الغير، وعدم الدعوة للشذوذ، ومن تأمل أيضا هدي السلف الصالح رحمهم الله وجد ذلك جليا ظاهرا.

فبدأ الخروج بالاحتقار، والكلام في الولاة والحكام، ثم في العلماء والفضلاء، واتهامهم في الدين والرأي، حتى تنسل ثقة الناس من هؤلاء، وإذا نزعت الثقة من العلماء، فإنه ينتظر الشر العظيم، والبلاء الوخيم، وهناك كلمات يقولها العلماء، قد لا يلقي الإنسان لها بالا، ولكنه إذا تأملها وعاش حقيقتها أدرك ما يعنيه العلماء، واهل العلم حينما يتقون الفتنة، ويحرصون على جمع الكلمة ما أمكن، وليس معنى ذلك أننا سنضل إلى حال يشابه ما كان في عصر الصحابة أو الخلفاء الراشدين، إنما الشريعة تمضي على الأغلب، وتراعي في المصالح الأغلب، ومن هنا نجد أن المصالح في اتباع هذه السنن الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعظم وأكبر من أن يجتهد الإنسان عليها، أو يحاول أن يخرج عنها باجتهاد أو برأي.

الخروج من حيث هو بالأصل لا يكون إلا بالرأي، وقد ضرب الله المثل للإنسان حتى في البهائم والحيوانات فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ البقرة:٢٦ ، فالحكيم العاقل ينتبه للامثال، والإنسان لو أراد أن ينظر إلى جماعة المسلمين ويشذ عن رأيهم فلينظر إلى بيته، حينما يرى أنه يقوم على مصالح أولاده ورعاية أسرته، ويسهر عليهم، وفي قرارة قلبه يتمنى أن يكون أفضل بيت، وأحسن بيت، ولكنه بشريته وضعفه تنتابه الشهوات والملهيات، حتى لربما ضيع كثيراً من حقوق أولاده، وهو في دولة صغيرة وبيئة صغيرة، لا يستطيع أن يجد فيها عشر معشار ما يجده غيره من أو أعظم منه مسئولية، وأكثر منه أمانة.

ومن هنا: إذا اتصف الغير تمنى وتريث، ونظر إلى الأمور بأغلبها خيراً وأقلها شراً كما قرر هذا العلماء والأئمة رحمهم الله، فتجد الإنسان إذا أراد ابنه أن يشذ عنه، أو أن يتمرد عليه في بيته، أول ما يبدأ التمرد بالاحتقار، وأول ما يبدأ الإمام (أي عن طاعته بانفرادهم بلدة أو قرية أو موضع من الصحراء، كما نقله في الروضة وأصلها عن جمع وحكى الماوردي الاتفاق عليه

(و) الثالث (أن يكون لهم) في خروجهم عن طاعة الإمام (تأويل سائغ) أي محتمل من الكتاب أو السنة ليستندوا إليه لأن من خالف بغير تأويل كان معاندا للحق

تنبيه بشترط في التأويل أن يكون فاسدا لا يقطع بفساده بل يعتقدون به جواز الخروج كتأويل الخارجين من أهل الجبل وصفين على علي رضي الله تعالى عنه بأنه يعرف قتلة عثمان رضي الله تعالى عنه ولا يقتص منهم لمواطأته إياهم وتأويل بعض مانعي الزكاة من أبي بكر رضي الله تعالى عنه بأنهم لا يدفعون الزكاة إلا لمن صلاته سكن لهم أي دعاؤه رحمة لهم وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الإمام الصنعاني-رحمه الله-في شرح حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ومات فميتته ميتة- بكسر الميم مصدر نوعي وفي الاجتماع عليه وكان المراد خليفة أي قطر من الأقطار، إذ لم يجمع الناس على خليفة في جميع البلاد الإسلامية من أثناء الدولة العباسية إلى استقل أهل كل إقليم بقائم بأمورهم إذ لو حمل الحديث على خليفة اجتمع عليه أهل الإسلام، لقلت فائدته وقوله: «وفارق الجماعة» أي خرج عن الجماعة الذين اتفقوا على طاعة إمام انتظم به شملهم واجتمعت به كلمتهم وحاطهم عن عدوهم قوله: «فميتته ميتة جاهلية» أي منسوبة إلى أهل الجهل والمراد به من مات على الكفر قبل الإسلام، وهو تشبيه لميتة من فارق الجماعة بمن مات على الكفر، بجامع أن الكل لم يكن تحت حكم إمام، فإن الخارج عن الطاعة كأهل الجاهلية لا إمام له، وفي الحديث دليل على أنه إذا فارق أحد الجماعة ولم يخرج عليهم ولا قاتلهم، أنا لا نقاتله لمزيد إلى الجماعة، ويذعن للإمام بالطاعة، بل نخليه وشأنه لأنه لم يأمر بقتاله بل أخبر عن حال موته، وأنه كأهل الجاهلية، ولا يخرج بذلك عن الإسلام ويدل له ما ثبت من قول علي للخوارج ((كونوا حيث شئتم وبيننا وبينكم أن لا تسفكوا دما حراما ولا تقطعوا سبيلا ولا تظلموا أحدا فإن فعلتم نقدت إليكم بالحرب)) وهذا ثابت عنه بألفاظ مختلفة، أخرجه أحمد والطبراني والحاكم من طريق عبد الله بن شداد قال عبد الله بن شداد فو الله ما قاتلهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم الحرام، فدل على أن مجرد الخلاف على الإمام لا يوجب قتال من خالفه(١).

وقال علماء اليمن في عام ١٩٧٨م في سلسلة تعليم الواجبات الدينية

«فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً»

■ انطلاقاً من هذه الآية الكريمة فإن الواجب على كل عالم، بل وكل داعية وكل خطيب وكل مرشد أن يتقي الله تعالى في نفسه وأن لا يتلفظ إلا بالحق وأن يحاول تسديد القول كون الله يعلم السر وأخفى وأن الإنسان ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، ورب كلمة تهوي بصاحبها سبعين خريفا في جهنم حين يقولها لا يلقي لها بالا كما في الحديث النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم، لماذا تهوي كلمة بصاحبها سبعين خريفا في النار، لأن ربما كلمة واحدة من عالم أو داعية أو خطيب أو مرشد أو حتى رجل عادي، ولكنه صاحب كلمة مسموع عند البعض قد يقول كلمة تكون سببا في إراقة الدماء، أو زرع البغضاء، والشحناء في قلوب الناس أو سببا في إشعال نار الفتنة وإنشاء الخصومة بين قبيلة وأخرى أو طائفة وأخرى أو تكون سببا في تفرقة الأخ عن أخيه والابن عن أبيه والصديق عن صديقه أو أبناء الوطن الواحد بعضهم عن بعض، ولهذا أمر الله تعالى بتقواه، والتسديد في القول أن يحاسب الإنسان على كلامه وأن يراجع نفسه أخذا في اعتباره النتيجة والعاقبة التي تترتب عليها كل كلمة يتفوه بها وهل ستكون كلمته تصب في صالح الآخرين وتضمن السعادة لهم وتثبيت دعائم الأخوة والمحبة والتراحم والمودة وتحقق مبدأ التسامح والاعتدال أو ستكون معول هدم ومثارا للفرقة وإيجادا لكل ما من شانه نخر البشرية إلى الهاوية، فإذا كانت كذلك فالأفضل أن يلتزم الصمت لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في الحديث :«فليقل خيرا أو ليصمت» ولقد وفق الله تعالى علماءنا الأجلاء، وأيما توفيق بإصدار بيانهم المشبع بالأدلة القوية والواضحة والصريحة والمصححة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم وأقوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين رحمة الله عليهم جميعاً بعنوان بيان علماء اليمن حول الأزمة الراهنة، حيث قدم العلماء عدداً من البحوث العلمية التي تناولت أهم المواضيع التي تدور في الساحة اليمنية مبينا تحقيق الإجماع على عدم جواز الخروج على الحكام - طاعة ولي الأمر وحكم الخروج على - نصيحة العلماء للراعي والرعية - صور الخروج على ولي الأمر وأحكامها - بم تثبت الولاية - واجبات الحاكم نحو الرعية وواجبات الرعية نحو الحاكم - الفتنة وسبل النجاة منها - النصيحة لولي الأمر ويكفيكها بعد النقاش المستفيض ثم الخروج بالبيان القيم الذي يبين الإخلاص لله ولرسوله وعدم الخوف في قول الحق لومة لائم، لقد سددوا القول خوفا من الله الذي سيحاسبهم وسيسألهم عن ما أورثهم إياه من العلم فبينوا حكم الخروج على الولي وحرمة الدماء، التي تسفك ووجوب طاعة الولي ودعوا الخارجين من عسكريين ومدنيين للرجوع إلى وحدة الصف والشمل والوفاء بالعهد والقسم وتحكيم كتاب الله وسنة نبيه وما أجمع عليه العلماء، علماء الأمة إلى آخر ما جاء في البيان الصادر عن مؤتمرهم الذي يعود خير البلاد وسعادة العباد، بيان عظيم حظي بالقبول من جميع أبناء الشعب عدا الفئة الحريصين على السطو على السلطة واقتصاب الحكم واتباعهم بالشتم والطعن في بعض العلماء الأجلاء ونعتهم بما لا يجوز وما لا يجب أن يصدر عن مسلم، ناهيك عن من يدعي العلم أو التدين وهو بعيد كل البعد عن ما يدعيه، فلو راجع الإنسان ما نفسه وقارن بين علماء اجتمعوا من كل حدب وصوب وكل محافظة في الوطن لا تجمعهم مصالح شخصية ولا أطماع ذاتية الذي جمعهم إحساسهم بمسئولية البيان والتوضيح بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله والخوف من عقاب كتمان العلم مصداقاً لقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم« من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة» ثم في الحديث :«فليقل خيرا أو ليصمت» ويدعون العلم وهم دعاة فرقة وفتيل فتنة وصناع أزمات أشر من الخوارج على الأمة يفتون بإراقة الدماء وبجواز القتل والتخريب، العقل والمنطق يرفض وقاعدتهم والكتاب والسنة لا تقبلان دعواهم وسوف يحاسبهم الله على اجترائهم عليه وعلى كتابه فلا يستوي الطيب والخبيث، ولو قارنت أخي القارئ الكريم بين ثورة سبتمبر المجيدة والانقلاب على الشريعة والشرعية الدستورية عبر الثورة المزعومة لوجدت أن لا وجه للمقارنة على الإطلاق فثورة سبتمبر العظيمة جاءت للقضاء على الظلم والجهل والعيش البائس وحققت الكثير من المنجزات العظيمة، ودعت إلى التعليم وفتحت آلاف المدارس وأوجدت الكهرباء والمياه وشيدت البروج وأنشأت السدود وساوت بين الرجل والمرأة وفتحت المجال أمامها لتأخذ حقها من التعليم وتشارك في الحكم وتؤدي دورها إلى جانب أخيها الرجل في كل الميادين، وثورة الأحزاب المزعومة التي جاءت ولم تنجح فأمامها شعب واع ومن أهدافها القضاء على التعليم والدليل واضح بتسعيم لإغلاق المدارس والجامعات ومحاولة منع الطلاب من الذهاب إلى المدارس كما أن من أهدافها العودة بالشعب إلى ما قبل العهد الإمامي من كآبة وظلام والدليل قطعهم الكهرباء والتقطع للنفط والديزل والغاز.. ثورة سبتمبر جاءت وشيدت المنشآت وأصلحت الطرقات وبنت المستشفيات وكان الفضل في ذلك بعد الله يعود لصانع الوحدة رئيس الجمهورية علي عبدالله صالح والثورة المزعومة اليوم يسعى مستأجروها لتخريب المنشآت وإتلاف المنجزات وهدم الجسور والطرقات.

الثورة السبتمبرية قام بها الأبطال من أجل شعب ومصلحة شعب والثورة المزعومة اليوم يتزعمها ويقودها عملاء لأجل تحقيق مخطط خارجي ولقاء ثمن بخس ولمصلحة أشخاص ولا وجه للمقارنة بين ثورة سبتمبر التي كانت عملا لله فنجحت ودامت حتى حققت أهدافها فما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل والثورة المزعومة اليوم فشلت وأوشكت على النهاية الخاسرة لأنها لغير الله وانقلاب على أوامر الله وهدي نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، لا وجه للمقارنة على الإطلاق والحق أحق أن يقال وإن يتبع لقد قام العلماء بدورهم وبينوا والسواد الأعظم من الشعب اصطفوا حول الشرعية وولي أمرهم رئيس الجمهورية وحان للفئة الصامتة أن تدين هذا الانقلاب وأن تقف جنبا إلى جنب مع الشرعية الذي يقوده الفارق الرشيد، كما أن بيان العلماء واضح والشريعة واضحة والواجب على الدولة أن تقوم بواجبها لترسيخ الأمن والاستقرار والضرب بيد من حديد كل مخرب أو متمرد أو مستأجر.. أسأل الله تعالى أن يحفظ بلادنا ويسدد على طريق الخير ولي أمرنا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

■ مدير التوجيه والإرشاد بالأمانة.

خالد الصاحب *

أما في القلب: فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) فما بالك إذا احتقر العلماء، واحتقار العلماء -في الخروج على الأئمة والخروج على الولاة والعلماء- لا يكون بأن يقول لك: أنا أحتقر فلانا، ولكنه كما يكون بالقول يكون بلسان الحال.

هناك نماذج، ونذكر في واقعنا ما يقوله البعض الآن عندما تقول له: الشيخ أو العالم فلان نصح بكذا، وإذا به يقول، والله ما يفقه الواقع! ولا بد من فقه الواقع! لكن ما هو فقه الواقع؟ فقه الواقع أن تعيش مع تقول، والواقع التي تتكلم فيها، وعندك فيها نص من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، أو تجتهد وعندك أمانة ورع وإخلاص، فقد فقهت في واقعك، أما فقه الواقع أن تكون بمثابة الشهادة والتزكية تُعطى لمن يوافق رأيي، وتنزع ممن لا يوافق رأيي، فهيذا تصير علماء، للعلماء، ومعلمين للعلماء، وأعرف من العلماء، بدين وشرع الله عز وجل! ولذلك ينبغي الحذر، فقد يكون هناك كلمة حق يرد بها باطل، وقد يمتنن النصوص أنه لا يهلك على الله إلا هالك، فعلى كل إنسان أن يحتاط من هذه المنزلات، وهذا الاحتقار: لأنه يؤدي بالإنسان إلى العواقب الوخيمة.

بداية خروج الخوارج على علي رضي الله عنه كان بالاحتقار الخروج على الأئمة لا يكون إلا بالاحتقار، ومن نماذج ذلك في التاريخ: إن أول فتنة وقعت للخوارج حينما خرجوا على علي رضي الله عنه فاحتقروه، واحتقروا مكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واحتقروا مكانه من العلم والفقه، وقد أمنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إنه بعثه إلى اليمن قاضيا ومعلما، واستخلفه على المدينة صلوات الله وسلامه عليه وقال له : (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى) فكان يهدم هي المنزلة العظيمة، وإذا بالخوارج يحتقرونه في ذلك، فخرجوا عليه رضي الله عنه وأرضاه، بالنقمة: تقموا عليه أنه قبل التحكيم، وقد بينا في المجلس الماضي كيف عتبوا عليه، وكيف أنه رضي الله عنه أقام عليهم الحجة.

فأصل الخروج لا يكون إلا بالاحتقار، ومن هنا أول ما قال ابن عباس رضي الله عنهما -وهذا موضع الشاهد- أنه قال لهم: ماذا تنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وختنه؟ ماذا تنقمون منه وهو أسبق للإسلام وأعرف بشرع الله عز وجل وبهدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فهو يخاطب أناساً لو كان عندهم عقل وبصيرة، لرجعوا إلى أنفسهم. إلا كيف يحتقرون هذا الصحابي الجليل المبشر بالجنة والخليفة الراشد، ورموا بكل ذلك وراء ظهورهم، بل وصل الأمر إلى تكفيره رضي الله عنه وأرضاه.

ومن هنا أول ما يكون الخروج بالاحتقار، وما وجدنا أئمة السلف رحمهم الله يحرصون على شيء مثل احترام المسلم لأخيه المسلم، فضلا عن العلماء وفضلا عمن له حق ولا فضل.

فتامل أخي كيف فرق الأئمة بين معنى الخروج وبين معنى القتال، على أن هناك فرقا بين من خرج عن طاعة الإمام وبين من خرج على الإمام، فمن خرج عن الإمام لا يلزم منه السيف، ومن خرج على الإمام يلزم منه السيف، هذا من حيث المعنى، وأما من حيث الدخل في جعبته شيئاً، وإنما يعلم أنه إذا أصحت له الأذان، ووعت منه القلوب فإنه على شفير جهنم، وأنه إن أخذ بهم بالسلامة سلم له دينه، وإن أخذ بهم على منهج السلف الصالح ابتعد بهم عن هذه العواقب الوخيمة.

بين العلماء، رحمهم الله أن الشذوذ لا يكون إلا بالاحتقار، ومن هنا نجد نصوص الشريعة كلها تذم شيئين، ولو نظرت في كثير من المصائب الموجودة اليوم وجدتها بسبب هذين الشيئين: الأول: في قرارة الإنسان وقلبه.

والثاني: في لسانه، في اللسان الذي يكب الناس في النار على وجوههم والعياذ بالله.

وعدم المبالاة بعلمائهم، وعندها تزل القدم بعد ثبوتها، والله قد أعذر لهؤلاء، فنص الكتاب ونص السنة واضح، وجماعة المسلمين أمامه وعلماؤهم أمامه، فمن احتقر هذا كله فلا يلومن إلا نفسه، وكل ما يأتي من تبعات، وكل ما يتجر إليه من ويلات وعواقب وخواتم، فلا يلومن في ذلك كله إلا نفسه، ولن يهلك على الله إلا هالك؛ ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يذكر المنكرات، ويذكر ما سيكون من الولاة من المساوئ والمثالب، ثم قال الصحابة رضوان الله عليهم الذين هم أغير الخلق على الحق، وأغير على هذه الأمة: (أفلا ننابذهم بالسيوف قال: لا؛ ما أقاموا فيكم الصلاة) من يستطيع أن يجتهد مع هذا، هل يستطيع احد أن يقدم على هذا أو يؤخر؟ فما على المسلم إلا التسليم.

لا يعني هذا التخاذل أو التواكل، بل يعني السمع والتسليم، وهل الإسلام إلا الاستسلام، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقف أمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية ويقول: (يا رسول الله! كيف نعطي الدنية في ديننا!) أي: بتلك الشروط القاسية على المسلمين، ثم هم محرمون يتحللون من إحرامهم، ويرجعون إلى ديارهم، ثم إذا أسلم أحد يرد إلى الكفار، وإذا ارتد مسلم فإنه لا يرد إلى المسلمين (أنعطي الدنية؟).

إذا جئت تناقش إلى الظاهر وجدت الذلة والصغار في الظاهر، وأمورا لا يسلم بها العقل، لكن الشريعة تأتي لكي تحكم الإنسان بالسمع والطاعة، وتنم بالاستسلام والتسليم الذي يأتي به الرفع والمخرج ويظن البعض أنها أوهام وأحلام، ونحن نقول له: انتبه وستترى ما يسرك، وإن كان يظن الإنسان أنه سيجد خيرا في اجتهاده، فسيجد خيرا من ذلك الخير في اتباعه للكتاب والسنة، ولن يجد أعلم من الله بخلقه، ولا أحكم ولا أعدل من الله عز وجل في شرعه وبنظامه؛ فلا يستكرث أحد على الله عز وجل، ولذلك تجد أعدا